



تحليل سياسات

# غارة القنيطرة والرد عليها: دوافع أطراف المواجهة وحساباتها

شمس الدين الكيلاني | فبراير 2015

غارة القنيطرة والرد عليها: دوافع أطراف المواجهة وحساباتها

سلسلة: تحليل سياسات

شمس الدين الكيلاني | فبراير 2015

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2015

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

2	مقدمة
3	الضربة الإسرائيلية
5	إيران وحزب الله: محاولة محسوبة لإعادة الاعتبار
6	الضوابط الحاكمة لردة فعل الطرفين
8	لا مواجهة في المدى المنظور

## مقدمة

أثارت الضربتان العسكريتان المتبادلتان بين إسرائيل وحزب الله عددًا كثيرًا من الأسئلة بشأن دوافعها وضوابطها. فكلا الطرفين، مع اختلاف مصالح كل منهما، لا يعتزمان التخلي عن انخراطهما في سورية، إضافة إلى وجود أسباب أخرى تدفعهما إلى اجتناب المواجهة في الوقت الراهن.

لقد أضحت المواجهة مع إسرائيل خارج مشاغل حزب الله وإيران منذ أن خبّت أصوات مدافع حرب 2006. ولم يحرك الحزب ساكنًا عند اغتيال قائده العسكري عماد مغنية عام 2008، وصارت تهديداته في حيز النسيان. فقد اجتنب أيّ مغامرة قد تؤثر في موقعه الراجح في السلطة، وفي وظيفته الإقليمية الموسعة لمصلحة إستراتيجية إيرانية طموح ما فتئت تزداد انتشارًا، بعد اندلاع الثورات العربية عبر تأسيس ركائز طائفية في البلاد العربية، كلما سنحت لها الفرصة لاختراق جسم وطني عربي؛ تمهيدًا لبط هيمنتها وتوسيع نفوذها الإقليمي.

أمّا الحكومة الإسرائيلية، فقد عملت كلّ ما يلزم لاستمرار الحرب في سورية، والحوّل دون حلم السوريين بالتحول الديمقراطي والخلص من النظام الاستبداد، وسخرت نفوذها مع الغرب من أجل هذا الهدف. فترك السوريون وحدهم في مواجهة القوة الحربية الضاربة للنظام، والمليشيات الشيعية، وفي صدارتها قوات حزب الله. ولم "تبخل" روسيا، أيضًا، بدعم النظام وإسناده، مستغلة ضعف الإدارة الأميركية وتردها.

وفي هذا المناخ، جاءت الغارة الإسرائيلية على القنيطرة السورية التي استهدفت قافلة تابعة لحزب الله. ونجم عن هذه الغارة مقتل ستة من عناصر الحزب وقادته وضابط إيراني.

تقف هذه الورقة على هذه الضربة، وحدودها، وأهدافها، وتسعى لشرح أسباب الانتكاسة الطفيفة لحالة التهدة التي استمرت أعوامًا ضدّ حزب الله، وتسلطّ الضوء على الضوابط التي تتحكم في ردّات فعل الطرفين: إيران وحزب الله من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، كما تُعنى بالسيناريوهات المحتملة التي قد تؤوّل إليها الأمور.

## الضربة الإسرائيلية

نجحت المعارضة المسلحة خلال عام 2014 في تحقيق اختراقات مهمة في الجبهة الجنوبية. فقد سيطرت على مساحات واسعة، ونقاط عسكرية إستراتيجية، في ريف درعا؛ لعل أبرزها السيطرة على سجن غرز، وصوامع الحبوب، وحواجز اللواء 112، وتل الحارة، وتل أحمر، وتل الجابية، ومدينتا نوى والشيخ مسكين، إضافةً إلى اختراقات مهمة أيضاً في القنيطرة. وتوالت هزائم قوات النظام في الجبهة الجنوبية، بعد سيطرة جبهة النصرة على أغلبية نقاط خط الفصل في الجولان، وتقدّم الجيش الحر في مدينة القنيطرة القديمة المدمرة، وسيطرته على مساحات واسعة من ريفها لتأمين التواصل الجغرافي بين مناطق ريفي درعا والقنيطرة.

ولا تقتصر أهمية ما أنجزته المعارضة السورية المسلحة على خططها لاستهداف مدينة ازرع خط الدفاع الأول عن دمشق، بل إنّ السيطرة على نوى والشيخ مسكين أتاحت لها فرصة استهداف مواقع عسكرية مهمة في مدينة الصنمين؛ مثل قيادة الفرقة التاسعة، وحصار المدينة. كما أتاحت لها تقدّمها في بلدة الشيخ مسكين قطع الطريق السيارة الدولية، والحوّول دون التحركات العسكرية للنظام وغير العسكرية (قوافل الإمداد والمواد الغذائية) من بلدة ازرع ومدينة درعا، وإليهما. لكنّ العنصر الأهم في تقدّم قوات المعارضة، بخاصة بعد تمركزها في مثلث تل العدس، وتل ماكر، وتل مرعي، تمثّل باقتربها من ريف دمشق الغربي والغطوة الغربية وتهديدها بفك الحصار أو اختراقه، وإيجاد واقع عسكري جديد يُشكّل تهديداً جزيئياً بالنسبة إلى العاصمة. وحين عجز الجيش النظامي عن وقف التقدم المتسارع للمعارضة في هذه الجبهة، تدخلت إيران وحزب الله ضمن محاولة لقلب الموازين وتغيير مسار المعارك على النحو الآتي:

- إنشاء غرفة عمليات عسكرية في ريف القنيطرة يشرف عليها ضباط من الحرس الثوري الإيراني، وقيادات من حزب الله، في صدارتهم جهاد مغنية، لمنع سقوط مدينة القنيطرة الجديدة، وخان أرنبة، وبعض التلال الإستراتيجية؛ مثل تل الكروم، وتلال اليونان، وتلة أحمر.
- التدخل المباشر عبر قوات من الحرس الثوري ومقاتلين من حزب الله للسيطرة على مثلث تل العدس، وإيقاف تقدّم قوات المعارضة نحو ريف دمشق الغربي.

نظرت إسرائيل بعين الريبة إلى المتغيرات الجديدة في جبهة الجولان، وازدياد حضور إيران وحزب الله فيها. وفي خطوة استباقية، شنت غارتها الجوية قرب مدينة القنيطرة، واستهدفت سيارتين تابعتين لحزب الله كانتا نُقلان قادته، لعل أبرزهم محمد أحمد عيسى، المشرف على ملفي العراق وسورية، وغازي علي ضاوي، ومهدي محمد ناصر الموسوي، وجهاد مغنية (26 عامًا) نجل عماد مغنية الذي رشحته إيران لأدوار كبيرة.

كانت الضربة الإسرائيلية بمنزلة جرس إنذار يُذكر الإيرانيين، ومن ثمّة النظام السوري وحزب الله، بأنهم تجاوزوا التخوم المسموح بها، ولا سيما أنّ هذه التخوم كانت خلال أربعين عامًا برزخًا للسلام والتهدئة، وليس فيها ما يُورق الاحتلال الإسرائيلي للجولان أو يزعجها. في حين أنّ حضور إيران وحزب الله، وبناء قواعد عسكرية، يثيران قلق إسرائيل حتى لو كانت إيران تريد من هذا الحضور قتال المعارضة السورية والدفاع عن جنوب دمشق. فحال إسرائيل في ذلك كحالها تجاه السلاح الكيماوي؛ ذلك أنها تُعرب عن قلقها في حال وقوعه في "أيادٍ سيئة". ولكن مادامت هذه الأسلحة في يد النظام، فلا بأس. والأمر نفسه أيضًا تجاه انتقال سلاح متطور إلى حزب الله؛ أي إلى قوى ميليشياوية غير منضبطة.

من جهة أخرى، لا تريد إسرائيل أن تكون جازًا لإيران، أو لقواعد عسكرية محتملة تابعة لها تكون بديلًا من قوات نظام حافظ على هدوء جبهة الجولان أكثر من أربعين عامًا. وهكذا لم تكن قافلة القنيطرة، ومحاولة إيران وحزب الله التوسع وبناء قواعد عسكرية في الجولان، من الأمور المقبولة بالنسبة إلى إسرائيل. فكان لا بدّ لها من أن تُشعر من كانت لهم علاقة بذلك بموقفها الراض لذلك السلوك العسكري. وهذا ما حصل، مع الحرص على ألاّ يفتح ذلك بابًا لحرب أوسع.

إنّ انخراط إيران عسكريًا، بطريقة مباشرة، أو عبر حلفاء لها؛ كحزب الله والميليشيات العراقية الطائفية، ألقى بتداعياته على مواقف شرائح كبيرة من الشعب السوري باتت تنظر إلى إيران بوصفها قوة احتلال، إلى حدّ أنّ تلك الشرائح صارت تمزج في ثورتها السياسية بين هدف الديمقراطية والتحرر الوطني من الاحتلال بمختلف أشكاله وتصنيفاته. وقد أكد ذلك المثقفون السوريون الذين عرفوا أنّ معركة السوريين الراهنة هي حرب المصير والبقاء. فإمّا أن يحافظوا على هويتهم واستقلالهم، وإمّا أن تتحول بلادهم إلى ساحة تتحكم فيها إيران وتحتكر قرارها ومقرراتها؛ فقد عرفوا أنه "منذ الآن، تعدّ إيران الشباب الشيعة الذين تدعوهم للقتال في سورية من كل

البلاد، بمرتببات عالية لم يحلموا بمثلها من قبل، وتعدّهم بالقدوم مع عائلاتهم لاحتلال منازل السوريين المهجّرين، والحصول على الجنسية السورية، ليصبحوا جزءاً من المجتمع الشيعي الجديد الذي تنوي إقامته في سورية، كقاعدة دائمة لترسيخ نفوذها<sup>1</sup>.

### إيران وحزب الله: محاولة محسوبة لإعادة الاعتبار

كانت محاولة حزب الله وإيران الموصوفة بـ "ردّ الاعتبار" تجاه إسرائيل أمراً مفهوماً. ولئن نجح الحزب في هذا الأمر إزاء جمهوره، وإزاء إسرائيل، فإنه أخفق إزاء السوريين؛ لأنهم يعرفون أنّ تبادل النيران الذي جرى إنما هو صراع من أجل الهيمنة على وطنهم. كما أنّ الحزب لم يستطع إقناع فئات واسعة من الشعب اللبناني بنبل مقاصده، بل نُظر إلى معاركه بوصفها جزءاً من مشروع إيراني يهدف إلى السيطرة السياسية والإستراتيجية على المشرق العربي، وإلى الهيمنة المذهبية عليه.

أعلن نصر الله في خطابه، يوم 30 كانون الثاني/يناير، عن "ردّ الاعتبار" لضحايا غارة القنيطرة السورية، وفي صدارتهم من سماه "كبيرنا" الذي يعني به العميد الإيراني محمد علي الله دادي. ومن خلال "تبرة" خطابية عالية، حرص نصر الله على العودة إلى التهذئة وعدم التصعيد؛ وذلك من خلال قوله: "أنا لا أريد الحرب، لا نريد الذهاب إلى حرب، ولكن لا نخشاها ولا نهابها". كما تحدّث نصر الله عمّا سماه "حقه" في الردّ على أيّ عدوان أينما كان وكيفما كان وفي أيّ مكان كان<sup>2</sup>، فسوّغ تدخّله في سورية وشرعن ذلك، وأباح لنفسه تجاوز الوطنية السورية، وشعور السوريين بالغضب والتحدي بسبب سلوكه تجاههم. فهم قد رأوا في تبادل النيران بين حزب الله وإسرائيل وظيفةً تستخدمها إيران لإخضاع بلادهم، والنيل من استقلالهم.

<sup>1</sup> برهان غليون، "سورية تحت الاحتلال"، العربي الجديد، 9/ 11/ 2014، على الرابط:

<http://www.alaraby.co.uk/opinion/828a28c9-3787-42ba-879c-df18f7d173be>

<sup>2</sup> "حزب الله، يُمطر بيروت بنار 'ردّ الاعتبار'!"، 31/ 1/ 2015، جريدة المستقبل، العدد 5280، على الرابط:

<http://www.almustaqbal.com/v4/article.aspx?type=NP&articleid=648172>

لقد حافظ جمهور الثورة من القوى الديمقراطية المدنية على تعلّقه بقيم الثورة وأهدافها الكبرى في الحرية والديمقراطية التي تجسدت في قوى سياسية وعسكرية دفعت أثمانًا باهظة في نضالها، على الرغم من بروز قوى متطرفة وطائفية. ويُعدُّ هذا الجمهور تيارًا ثالثًا بين النظام وتلك القوى، وهو مستند إلى التوجهات الديمقراطية لأكثرية السوريين التي تُشكّل ضماناً لمستقبل الثورة الديمقراطي<sup>3</sup>.

## الضوابط الحاكمة لردة فعل الطرفين

بعد اغتيال عماد مغنية عام 2008، أكّد الأمين العام لحزب الله أنّ الردّ - لا محالة - مُقبِلٌ. وقد مرَّ الوقت طويلاً على هذا الوعيد، وتالت الضربات الإسرائيلية على الحزب في لبنان (اغتيال حسان اللقيس 2013)، وعلى موقعه في سورية والحدود السورية - اللبنانية، من دون أن يخاطر بخرق التهديّة المُبرمة مع إسرائيل عام 2006، حتى جاءت غارة القنيطرة ضربةً موجعةً للحزب؛ فأخرجته إزاء جمهوره، واستنزفت دعايته، وعوده المتكررة بالردّ المؤلم.

ومع حتمية ردّ إيران وحزب الله على الغارة الإسرائيلية، فإنهما حرصاً على ردّ مضبوط لا يقود إلى مواجهة شاملة وطويلة مع إسرائيل؛ بالنظر إلى أنّ إيران تخوض حرباً ضاريةً على امتداد الأرض العربية والإسلامية، استطاعت خلالها أن تقسّم عدّة مجتمعات عربية، إلى حدّ أنّ المباهاة بلغت بها ادعاء سيطرتها على أربع عواصم عربية. وفي الوقت نفسه تخوض معركة النفوذ والقوة على طاولة المفاوضات النووية التي سنُقَرّر نتائجها المسار الذي سنَتَّخذه مصالح إيران في المنطقة. فهل ستندرج هذه المصالح في "القطار الأميركي"؟ أم هل تصطدم بسكّته الطويلة<sup>4</sup>؟

<sup>3</sup> "استطلاع 'المركز العربي': النازحون السوريون ازدادوا تأييداً للثورة"، العربي الجديد، 2/ 6 / 2014، على الرابط:

<http://www.alaraby.co.uk/politics/8b5d030d-a0b4-4184-b1eb-d63410607a14>

وقد أفاد 78% من المهجّرين أنّ الانتخابات الرئاسية المزمع إجرائها ليست شرعيةً، وأنّ نصف المستجيبين يفضلون أن تكون الدولة في سورية مدنيةً، في حين قال 30% منهم إنهم يفضلون دولةً دينيةً.

<sup>4</sup> سركيس نعوم، "الرد على ضربة القنيطرة والأولويات الإيرانية"، 24 / 1 / 2015، جريدة النهار، على الرابط:

<http://bit.ly/1FXK2Nu>



يُضاف إلى ذلك خشيتها هي وحزب الله فتح جبهة ضد إسرائيل في سورية؛ لأنّ في ذلك تهديدًا للنظام السوري الذي يُعاني الاستنزاف والتفكك وتكاثر الخسائر، علاوةً على أنه في حاجة شديدة إلى جهد الميليشيات الشيعية وإيران من أجل الحفاظ على البقاء. فلا تستطيع إيران التضحية بميليشيا حزب الله ذراعها القوية في لبنان والأرض العربية، ولا تستطيع أن تغامر بمصير النظام تحت ضغط ردّة فعلٍ غير محسوبة

ولعل ما ساعد إيران وحزب الله على التحكم في التوتر، ومنع تقادم الأمور إلى مواجهة شاملة هو حرصُ حكومة ننتياهو على ضبط ردّات الفعل؛ نتيجةً لأسباب داخلية (انتخابات الكنيست)، وأخرى خارجية متمثلة برغبة الولايات المتحدة الأميركية في التهدئة مع إيران، في ظل حاجة إدارة أوباما إلى إكمال المفاوضات النووية، والتوصّل إلى اتفاق معها يكون بمنزلة "الإنجاز الخارجي الأكبر" لدبلوماسيتها.

كان يكفي إسرائيل أنها بلّغت إيران وحزب الله بالخطوط المسموح بها، وأنها لا تريد أن ينفلت الزمام؛ فيكون النظام السوري ضحيةً لذلك، وهي الحريصة على بقائه ضعيفاً متهاكاً، وعرضةً لخسارة قد تُودي به، إن تشاغلته عنه عضداه من الميليشيا الشيعية؛ حزب الله وإيران. ومن المؤكد أنّ إيران وإسرائيل تُدكّران بسلوك الرئيس السابق حافظ الأسد الذي أبقى الحدود آمنةً إلى أقصى حدٍّ ممكن، وهو لئن فتح قسماً من جبهة الجوار اللبناني، فإنّه حرص على أن تبقى بعيدةً عنه.

أما الرئيس الحالي بشار الأسد فقد اكتفى بتذكير الحكومة الإسرائيلية، على لسان وزير إعلامه الزعبي، وعلى غرار طريقته في الشرح والتفسير بأنّ "ما يجب أن تدركه حكومة إسرائيل هو أنّ كلفة المحافظة على الأمن الإقليمي أقلّ بكثير من كلفة انفلات الأمور من عقالها وتطورها على نحو سلبي"<sup>5</sup>. وهذه الـ "عِظة" طالما سمعتها إسرائيل من النظام خلال الأعوام الماضية.

يُضاف إلى هذه الضوابط المؤثرة أنّ روسيا لا تريد الابتعاد كثيراً عن إسرائيل، بالقدر نفسه الذي تحرص فيه على رعاية النظام السوري واستمراره، وحمايته من المخاطر. ثمّ إنّها لا تريد أن تُفاجأ بانفجار الوضع بين إيران وحزب الله من جهة، وبين إيران وإسرائيل من جهة أخرى. ولم تتبعد الولايات المتحدة كثيراً عن هذا الموقف وإنّ

<sup>5</sup> تقرير الـ SNS: العدو كما أهل المقاومة: ترقّب للردّ الأكيد... قراءات لما بعد العدوان الإسرائيلي، "سياسة البلد، على الرابط:

<http://sns.sy/sns/?path=news/read/80385>

كان موقفها هذا لدواعٍ مختلفة. فهي حريصة على استمرار المفاوضات النووية مع إيران؛ ذلك أنّ الهمّ الرئيس لأوباما يتعلق بالوضع الداخلي الاقتصادي وإبرام اتفاق نووي مع إيران، إضافةً إلى الهدف الطارئ، وهو القضاء على الإرهاب؛ الممثل بداعش، على أنّ إدارته لم تُعدّ بعيدة كثيراً عن حزب الله، وعن حال الحوثيين الذين يقفون في صفٍّ واحدٍ إلى جانب حزب الله ضدَّ "الإرهاب الأممي" مُمثلاً بداعش والقاعدة. وينطبق هذا الأمر على النظام السوري الذي لم يستهدف الولايات المتحدة ولا إسرائيل، بل "اكتفى" بتشريد ملايين السوريين، وقتل مئات الآلاف منهم. فهذا كلّه لم يجعله إرهابياً من منظور أميركي.

ومادامت الولايات المتحدة قد وضعت في مركز اهتمامها القضاء على خطر إرهاب داعش، فإنّ المسائل الأخرى قد تراجعت أولوياتها؛ ومن ثمّة تراجع اهتمامها كثيراً بمسألة تحي الأسد أو بقاءه، وربما كانت تميل إلى الإبقاء على نظام الأسد بين الحياة والموت؛ بحثاً عن تسوية معه. لذا ضغطت على إسرائيل حتى لا تصعد الموقف العسكري.

وفي ظلّ الواقع السابق، أعرب حزب الله، عبر وسطاء، عن رغبة في التهدئة، وأعلنت إسرائيل في 29 كانون الثاني/يناير 2015 أنها تلقّت رسالةً من الحزب تفيد أنه غير راغب في التصعيد، وذلك بعد يوم واحد من اشتباكه مع دورية إسرائيلية. وفي المقابل علمت قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل) من الجيش الإسرائيلي انتهاءً عمليات القصف، ردّاً على العملية التي قامت بها عناصر لحزب الله في مزارع شبعا<sup>6</sup>. فجميع تلك الأطراف (إيران وحزب الله، والولايات المتحدة، وروسيا، وإسرائيل) تأتلف مواقفها المتمثلة بعدم التفريط في نظام الأسد، وترى في التصعيد العسكري بين حزب الله وإسرائيل تهديداً جدياً لما بقي من ذلك النظام.

## لا مواجهة في المدى المنظور

حرص حزب الله وإيران على أن يُغلّفا محاولة توسيع نفوذهما في سورية والدفاع عن النظام بعدة شعارات وأهداف. غير أنها لا تتلاءم مع الوقائع؛ إذ لم تكن قافلة القنيطرة التي كشفت عنها الغارة الإسرائيلية سوى

<sup>6</sup> "إسرائيل: حزب الله طلب منا عدم التصعيد"، قناة العربية، 29 / 1 / 2015، على الرابط:

<http://bit.ly/1A6z9AJ>

محاولة جديدة لتطبيق سياسة قديمة اتبعتها إيران تجاه البلاد العربية، وطبقها تجاه سورية مرّة أخرى، وقد كانت في كل مرة تُقدّم ذرائع وشعارات جديدة.

لقد ساند مقاتلو حزب الله وقوات الحرس الثوري الإيراني النظام السوري في البداية بذريعة مساعدة مواطنين لبنانيين يعيشون في قرى سورية. وعندما توسع نطاق تدخلهم عسكرياً اصطنع الطرفان حجةً جديدةً؛ هي حماية المقدسات والدفاع عن مزار السيدة زينب. ومن المعروف أنّ الدمشقيين رعوا هذا المزار بإجلالٍ، منذ أكثر من ألف عام بوصفه جزءاً من اعتقاداتهم وتقاليدهم، وأنّ حالهم في هذا الإجلال كحال أهل القاهرة في علاقتهم بمزاري "سيدنا الحسين" و"السيدة زينب". وأهل القاهرة مثلهم مثل أهل دمشق؛ إذ إنهم ليسوا في حاجة إلى حزب الله وإيران لحماية تلك المقدسات. وبعد انكشاف الوجود الإيراني في الأراضي السورية (بالجولان)، أدّعت الأصوات المحيطة بإيران وحزب الله أنّ غرض الوجود الإيراني وحزب الله في القنيطرة هو مواجهة العدو الصهيوني. فالمسألة، إذن، تتعلق بـ "النضال الوطني"، ولا علاقة لها بقتل السوريين كما يجري الأمر منذ ثلاثة أعوام على الأقل.

غير أنّ الوقائع تدلّ على أنّ إيران وحزب الله لا وقت لديهما للصراع مع إسرائيل، أو غيرها. بل إنّ إنقاذ نظام الأسد هو الواجب الذي لا يعلو عليه واجبٌ. فـ "سورية الأسد"، هي "حبة اللؤلؤ" في عقد مصالح إيران بالبلاد العربية، وحصان طروادة مسلّح بشعار الممانعة وفلسطين؛ للعبور إلى قلب البلاد العربية، على الرغم من أنّ إيران في توجّهها المذهبي لا يجمعها، من الناحيتين المذهبية والقومية، أي جامع بأرض فلسطين، ولا بشعبها، أو مقدساتها.

إنّ رواية طهران وحزب الله ما هي إلّا ادعاء زائف؛ ذلك أنها تُقدّم لتغطية عملهما الدائب في حماية النظام ومنع سقوطه. ولقد برهن حزب الله، بالفعل - لا بالقول - على اجتنابه فتح جبهة الجولان مع إسرائيل؛ من خلال اختياره جبهة شبا للردّ خشية أن تقوم إسرائيل بتدمير التجمعات العسكرية للنظام السوري في قطنا وسعسع التي تُشكّل أطواق الحماية الأخيرة لسيطرة النظام على دمشق، وكان الأسد نفسه، في حديثه إلى مجلة

فورين بوليسي، قد استبعد خيار فتح جبهة الجولان، وقال إنها ستبقى كما ظلت أربعة عقود هادئة، وإن نظامه سيواصل التزام اتفاق الهدنة الموقع عام 1974<sup>7</sup>.

وهكذا يمكن استبعاد احتمالات الحرب بين إيران وحزب الله وإسرائيل خلال هذه الفترة، وستصبح احتمالاتها متعذرة في حال توصل الولايات المتحدة وإيران إلى اتفاق نووي مرتبط بتفاهات بشأن مشاكل الإقليم والدور الإيراني المقبول أميركياً. وهكذا يبدو أن إنجاز الاتفاق النووي بوصفه محطة كبرى للتحويل لا يقتصر على العلاقات الإيرانية - الأميركية، بل إنه يشمل العلاقات الإيرانية - الإسرائيلية أيضاً، وهو أمر يضع العرب إزاء تحدٍ كبير لا يمكن مواجهته إلا بترتيب البيت العربي على أساس مزيد من التفاهم والوحدة، وتوسيع المشاركة الشعبية نحو التحويل الديمقراطي، والبحث عن توطيد العلاقة بتركيا لتعزيز الموقف العربي.

---

<sup>7</sup> غازي دحمان، "ضضبوا المدافع"، العربي الجديد، 19 / 2 / 2015، على الرابط:

<http://www.alaraby.co.uk/opinion/82dcafa-d08d-465d-b1ee-937d7690d23d>